مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٨/١/٤

ان ساعات الانتظار هى ساعات الحساب والتوقعات وطرح الايجابيات والسلبيات • ومن محصلة ذلك كله يسود النفس احساس التشاؤم أو التفاؤل ، وتختلف الالوان أمام العينين من الابيض الى الاسود

امكانيات الحل بين التفاؤل والتشاؤم

مجرد سياسة

تجرى معظم الحوادث المتكاملة دوما من عدة فصول ينتهى الفصل الاول منها عادة بمفاجأة مثيرة تشد الاهتمام ، أما الفصل الثانى فان حوادثه تتسابق من أجل خلق « عقدة » تبدو مستعصية الحل •• ومع مجىء الفصل الثالث ــ وهو الاخير غالبا ــ تجرى الاحداث فى طريق واحد هدفه « حل عقدة الرواية » واسدال الستار على نهايتها ••

وقياسا على ذلك يمكن القول اننا اليوم مع مئات الملايين غيرنا فى كل العالم ، فى انتظار احداث الفصل الثالث ••

●● كانت زيارة السادات التاريخية للقدس هى قمة فى المفاجأة انتهى بها الفصل الاول ••

●● وفى الوقت الذى كان الملايين ينتظرون « الفرج » ليلة عيد الميلاد مع لقاء الاسهاعيلية بين الرئيس السادات ومناحم بيجين فلقد بدا ان اللقاء بينهما انتهى الى « عقدة كبيرة » اسدل عليها الستار واصبح السؤال على كل لسان هو : هل سيمكن حل هذه العقدة ؟

وكما هو معروف فان الفصل الثالث سوف يبدأ مع عودة الجانبين المصرى والاسرائيلى للقاء عبر لجنتين عسكرية وسياسية تجتمع الاولى فى مصر فى بداية الاسبوع القادم ، وتجتمع الثانية فى القدس فى منتصف هذا الشهر •

والمفهوم ان اللجنة العسكرية سوف تناقش موضوعات الانسحاب من سيناء، أما اللجنة السياسية فالموضوع الكبير امامها هو « **المشكلة الفلسطينية** » ، جوهر القضية وعقدتها •

والزيارة التى يختطفها اليوم الرئيس الامريكى جيمى كارتر من برنامج رحلته المحدد سلفا باليوم والساعة والدقيقة للقاء مع الرئيس السادات فى اسوان هى جزء من الاعداد لتوجيه الاحداث فى الفصل الثالث الى طريق الحل ••

■■ ماهى امكانيات الحل

ان ساعات الانتظار هى ساعات الحساب والتوقعات فى محاولة طرح الايجابيات والسلبيات ..

ومن محصلة ذلك كله يسود النفس احساس التشاؤم أو التفاؤل .. وتختلف الالوان أمام العينين من الابيض الى الاسود ..

وفى محاولة قتل ساعات الانتظار بالحساب والتوقعات لما هو قائم تبدو فى احدى الكفتين احتمالات التشاؤم .. وتبدو فى الاخرى احتمالات الأمل والتفاؤل ..

■■ لماذا التشاؤم ؟

فى حساب دلائل احساس التشاؤم يمكن ابراز ما يلى :

① ان اجتماع الاسماعيلية بين الرئيس السادات وبيجين سبقه اتفاق على اعلان « مبادىء عامة » تحمل فى جوفها « نوايا الطرفين » تجساه الحل .. لكن هذا الاعلان تحطم على صخرة المشكلة الفلسطينية .

② واذا كان جوهر المشكلة الفلسطينية يتمثل فى الحل المطلوب للضفة الغربية وقطاع غزة : فان الفارق يبدو كبيرا فيما عرضه بيجين وما تريده مصر ..

ان ما عرضه بيجين تحت اسم « الحكم الذاتى » يعنى بالعبارة البسيطة السهلة تحويل الضفة الغربية وقطاع غزة الى « محافظة » أو « اقليم » من اقاليم الدولة الاسرائيلية .. فجيش وبوليس ووزارة الخارجية للدولة الاسرائيلية هو الذى يفرض الامن الداخلى والخارجى لسكان الاقليم ، وفيما عدا ذلك فانهم يستطيعون ادارة شئونهم الاخرى من خلال مجلس منتخب اشبه بالمجالس المحلية .

ومن اسس هذا المشروع « تواجد اسرائيل » فى الضفة الغربية وغزة .

أما ما تريده مصر فهو « خروج التواجد الاسرائيلى » من الضفة الغربية وغزة أولا ، ثم ترك الحرية لسكانهما لتقرير المصير بما فى ذلك انشاء الدولة الفلسطينية .

المحصلة العملية للنظرة الاسرائيلية اذن هى « ضم » أرض الضفة الغربية وغزة للدولة الاسرائيلية ، بينما محصلة النظرة المصرية هى « فصل » هذه الارض بسكانها عن الدولة الاسرائيلية وليكن لهم بعد ذلك مايختارون .. وبين الضم والفصل يبدو الفارق الكبير ..

③ فى حساب دلائل التشاوم يمكن ايضا وضع « التصريح الاخير للرئيس الامريكى كارتر » والذى أبدى فيه عدم تأييده فكرة انشاء دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وغزة ، وتفضيله فكرة اقامة « وطن » أو « كيان » يرتبط مع الاردن بصورة او بأخرى .

وأمريكا لها وزنها وثقلها فى كل ما يجرى ..

ولقد حرص كارتر منذ زاره بيجين في واشنطن للحصول منه على «مباركة» مشروعه الذى قدمه فى الاسماعيلية الا يعلق على المشروع الاسرائيلى . بل اكثر من هذا نقل عنه احساسه بضرورة ان يجرى فيه بيجين تعديلا حتى يجد « ثمة قبول » لدى الجانب المصرى . ولهذا كان غريبا من الرئيس الامريكى ان يخرج من سكوته — بعد ان رفضت مصر المشروع — ويدلى بتصريح فيه انحياز الى الجانب الاسرائيلى . وهو ما جعل الرئيس السادات يقول : ان هذا التصريح من كارتر سيجعل مهمتى فى غاية الصعوبة.

④ فى حساب العقبات التى تثير احساس التشاؤم فى مواجهة العين المصرية لا يمكن اسقاط الدور الذى تلعبه منظمة تحرير فلسطين .

لقد كان شعار هذه المنظمة « عائدون » ، ولكنها عندما دعيت لاخذ مكانها حول المائدة المستديرة المنصوبة لاطراف الصراع فى فندق مينا هاوس لتؤكد حقها فى العودة وهو الشعار الذى حاربت من اجله ، فانها رفعت شعارا جديدا اسمه « غائبون » .. وخسرت المنظمة معركة جادة حاسمة فى اعتراف اسرائيل بها لو أنها انضمت الى الحاضرين .

واكثر من ذلك فان تصريحات المسئولين فيها — وقد اختلطت بغيرها من المنظمات — تكاد ان تضعهم شوكة فى حلق الحل الذى يجاهد المفاوض المصرى من اجله .

⑤ فى حساب دلائل الصعوبات والتشاؤم يبرز الوضع العربى فى المقدمة كعنصر يعمل — وهذا هو الغريب — فى خدمة اسرائيل ..

وربما كان منطقيا ان تتردد بعض القيادات العربية فى تحديد موقف التاييد للمبادرة المصرية فى ايامها الاولى للاسباب التالية :

● ● المفاجاة العنيفة التى احدثتها هذه المبادرة بالنسبة لحسابات كل الاطراف .

● ● الخوف الشديد من أن يكون هدفها تحقيق حل مصرى اسرائيلى بعيد عن جوهر المشكلة واطارها العربى .

● ● عدم استعداد بعض الانظمة وقت اطلاق المبادرة من الانتقال من مرحلة « معركة وهمية » كانت تتعايش فى اطارها فى ظل شعارات النضال والتصدى والصمود الى مرحلة « معركة حقيقية » خالية من الشعارات والمزايدات والشكليات .

ولقد مضت خمسة اسابيع واكثر منذ الزيارة التى قام بها الرئيس السادات تحت بصر واذان الملايين لكل كلمة قيلت فيها واصبح واضحا بعد هذه الاسابيع الى درجة اليقين أن أنور السادات كان « لسان الامة العربية » امام الكنيست وفى كل جلسات المفاوضات التى عقدها مع بيجين .. ولم يكن فى جلسة من هذه الجلسات لسان شعبه المصرى وحده .. كذلك اصبح واضحا ان «العقدة الفلسطينية العربية» وليست « عقدة سيناء المصرية » هى التى تستنزف فكر المفاوض المصرى وتثير فى نفس الشعب المصرى كل مشاعر القلق والاضطراب الى درجة أصبح معها هذا الشعب المصرى فى مواجهة صورة بالغة الغرابة ..

● ● فالذين نحرق اعصابنا من اجلهم يتهموننا بالخيانة ..

● ● والذين نذوب شمعا مصهورا من اجل حل قضيتهم يتكلمون عن بيعنا للقضية ..

● ● والذين لم يقدموا جنديا واحدا فى معركة نقف فيها منذ ٣٠ سنة يتحدثون عن هروبنا من الحرب ..

● ● والذين يجلسون بعيدا على حافة الصراع وايديهم فى الماء يندبون بمحاولتنا اطفاء نيران الحروب والدمار.

● ● وبعض الذين جمعوا الثروات من انتصار الدم المصرى فى اكتوبر على شاطىء القناة مازالوا باسلوب التجار « يحسبون » و« يزنون » احمالات مكاسبهم وخسارتهم الشخصية قبل ان يقولوا كلمتهم ..

ولسوف يكون من اكبر اخطاء القادة العرب تصور امكان بقاء هذا الوضع طويلا : واستمرار المرارة التى يجترها الشعب المصرى بآذانه المفتوحة على ما يقال ضده .

■ ■ لماذا التفاؤل ؟

فى حساب دلائل اسباب التفاؤل تبدو فى الكفة الاخرى لحساب التوقعات والاحتمالات ما يلى :

① ان الزيارة ـ وقد جرت كل وقائعها على مسمع من العالم كله ـ خلقت قاعدة راسخة من الراى العام العالمى اصبحت تعرف بكل الوضوح ان مصر تريد السلام ، وان هذا السلام يستند الى حقوق مشروعة اقرها المجتمع الدولى من خلال الامم المتحدة ، وان هذه الحقوق تطرد من سوق التعامل الدولية سلعة تاجرت بها اسرائيل طويلا وهى ان العرب لا يريدونها ، وانها دولة مغلوبة على امرها وسط بحر من الكراهية لا تجد فيه من يعطيها الامن .

② انه بجانب الراى العام العالمى الذى اصبحت القضية ـ من كثرة الاحاديث التى ادلى بهـا الرئيس السادات ـ جزءا من معتقداته ، فان هناك ايضا الراى العام الاسرائيلى الذى شهد الصورة كاملة وهو فى لهفته على السلام أشد واسرع ..

ولاستطيع اسرائيل أن تتجاهل الرأى العام العالمى الذى كانت تبيعه «سلعة» أصبحت فاسدة ، ولا الرأى العـام الاسرائيلى الذى ككل الشعوب لا يمكن ان يسكت عن مطلب متاح للسلام ، ويهجره الى عدم الاستقرار والقلق والحياة المهددة بالدمار .

③ ان معارك المفاوضات لتحقيق السلام تختلف عن معارك القتـال .. الحرب تحسب بالايام بل وبالساعات والدقائق ، ولكن المفاوضات طريقها طويل وشاق ..

ولقد أخذت مصر طريق العقـل المفتوح ، والارادة المتحررة ، والفهم الواعى .. وليس المهم ما يقال خلال المفاوضات وانما المهم جدا ما سوف يضع عليه المفاوض المصرى توقيعه فى نهاية المفاوضات .

④ ان هناك دلائل واضحة على التغير فى موقف المفاوض الاسرائيلى كان من الممكن ان نقطع عشرات السنين قبل بلوغها ـ وبعد هذه السنين ستكون الدنيا غير الدنيا ـ .. واذا اردنا الامساك بهذه الدلائل فاننا نستطيع ان نجدها فى :

● ● طرح القيادة الاسرائيلية مبدأ « أن كل شيء قابل للتفاوض » وهو مبدأ بالغ الاهمية كان من المستحيل أن تسلم به اسرائيل لولا « الزيارة » التى جعلتها فى وضع مكشوف تماما أمام كل العالم ..

● ● اعتراف اسرائيل بمبـــدأ الانسحاب من سيناء وهو مبدأ تقـــرر منذ أول لحظـــة ، لكنه يعـــكس فى الواقع مبدأ أهم وهو اعتراف اسرائيل بالتخلى عن الاراضى التى احتلتها بعد ٦٧ . وكما هو معروف أمام المحـــاكم فان الاحكام فى القضايا لها حجيتها فى الدعاوى المماثلة .. ومن هنـــا فاى كسب مصرى معناه كسب ســـتحققه سوريا على الجولان مستقبلا رغم كل اتهامات الخيانة والتجريم التى تقذفنا بها .

● ● اعتراف اسرائيل بمبدأ الحل الشامل .

● ● وضع المفاوض الاسرائيلى قدمه على طريق ايجاد حل لمشكلة الضفة الغربية وقطاع غزة بعد أن وضعنا فى حساب الممتلكات الاسرائيليـــة الى الابد حتى وان كان المعروض حاليا بعيدا جدا عن المطلوب .

● ● أهم من ذلك وأخطـــر أن اسرائيل لاول مرة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى بل ومنذ بدء تكوينها « طرحت تحديدا لما تأمل فيه » .

لقد جاء بيجين إلى الاســـماعيلية ومعه مشروع كامل للانســـحاب من الاراضى المحتلة .. واذا كان لذلك معنى فهو أن « الزيارة » قد ارغمت اسرائيل على أن تحدد لنفسها «وضعا» له مساحته ، وله حـــدوده ، وله معالمه ، وله تفاصيله ، وهذا ما لم يسبق ان قدمته اسرائيل فى اى مرة من قبـــل .

والوضع الذى قدمته اسرائيل فى مشروعها يمثل الحد الاقصى لمطالبها .. ومهمة المفاوض المصرى أن ينزل بهذا الحد الى الحدود التى يجب ان تكون عليها اسرائيل .

⊙ انه فى جانب الاسباب والمبررات التى لا بد وأن توحى بالتفاؤل هى احســـاس المفـــاوض الاسرائيلى بانه يتفاوض مع أكبر دولة عربية . وأن هذا الطريق وحده هو الطـــريق الى السلام الحقيقى .

لقد كان ابا ايبان وزير خارجيـــة اسرائيل السابق هو الذى كتب فى مجلة جويش كرونيكل يوم ٢ ديســـمبر الماضى مقالا قال فيه : اذا كانت قوة العرب ونفوذهم قد ارتفعت مؤخـــرا الى مستوى لم يسبق له مثيل منـــذ العصور الاولى للفتوحات العربية فى القرن السابع .. فان الفضل فى ذلك يرجع كله الى القرار الفردى الجرىء الذى اتخذه السادات فى اكتوبر ٧٣ . كما أن مصر وحدها هى التى تمنـــح العرب فرصة الاختبار العسكرى السليم . وبدون مصر لا يستطيع العالم العـــربى ثمن الحرب أو صنع السلام ..

ان السؤال اذن ليس : هل نتشاءم او نتفاءل ..

وانما السؤال : هل نحن نعرف ما نريده لانفسنا وما نريده لغيرنا ؟

هل نحن واثقـــون فى قدراتنا وفى نفوسنا ؟ ..

هل نحن مفتوحو العيون والعقـــول والقلوب ؟

بهذا كله نستطيع ان ننتظر فى ثقة بدء الفصل الثالث وقد لا يكون الاخير .

صـــلاح منتصـــر

■ جيمى كارتر ■

■ مناحم بيجين ■